اي الطبقة الباردة من الهوآء اولا تبلغ فان بلغت فاما ان يكون البرد قويا اولا يكون فان لم يكن
البرد هناك قويا تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر فالبخار المجتمع هو السحاب و
المتقاطر هو المطر واما ان كان البرد هناك شديدا فلايخلو اما ان يصل البرد الى الاجزآء البخارية قبل
اجتماعها وانعقادها حبابا اوبعد صيرورتها كذلك فان كان على الوجه الاول نزل ثلجا وان كان
على الوجه الثاني نزل بردًا وقد ينعقد السحاب بانقباض الهوآء وذلك عندما برد الهوآء بردا منوطا
الى قوله والضمير اي ضمير به للبرد اي يصيب الله تعالى بذلك البرد من يشاء من الناس فيضر في زرعه وثمرته
وماشيته ويصرفه عمن يشاء فلا يضر في شيء منها قوله ضوء برقه يعني ان السنا مقصورا بمعنى الضوء
يقال سنا يسنو سنا اي اضاء يضيء والمعنى يكاد ضوء برق السحاب يذهب بالابصار من شدة
ضوئه والبرق الذي يكون صفته ذلك لا بد وان يكون نارا عظيمة خالصة وان النار ضد الماء والبرد
فظهوره في خلال السحاب يقتضي ظهور الضد من الضد وذلك لا يمكن الا بقدرة قادر حكيم قوله
فيما تقدم ذكره من عجايب صنعه من قوله يزجي سحابا الى قوله يقلب الله الليل والنهار واعلم انه تعالى
استدل على وحدانيته اولا بقوله الم تر ان الله يسبح له وثانيا بقوله الم تر ان الله يزجي سحابا فالاول
الاستدلال باحوال اهل السماء والارض والثاني الاستدلال بالآثار العلوية ثم استدل ثالثا باحوال
الحيوانات فقال والله خلق كل دابة من ماء واختار المصنف ان تكون كلمة من متعلقة بخلق وانها لابتداء
الغاية والمعنى خلق من ماء كل دابة فورد عليه ان كثيرا من الحيوانات لم يخلق من الماء سوآء فسر الماء
بالجنس الذي هو احد العناصر الاربع او بماء الذكر والانثى وهو النطفة كالملائكة فانهم خلقوا
من نور والجن من نار وكآدم فانه خلق من تراب وكعيسى فانه خلق من روح قال تعالى خلقه من تراب فنفخنا
ونفخ فيها من روحنا واشار المصنف بقوله حيوان يدب على الارض الى ان الدابة ليست عبارة عن مطلق
ما يمشي ويتحرك بل هي اسم للحيوان الذي يدب على الارض ومسكنه هناك فيخرج عنها الملائكة والجن واشار
الى دفع الانتقاض بآدم وعيسى عليهما السلام بان المراد من الماء ما هو احد العناصر ويكون مبدا الخلقة
كونه جزءا من مادة كل دابة فان اعضاء الحيوان لا تخلو عن رطوبة ما فالظاهر على هذا ان يكون تنوين
دابة للافراد وان يكون كل بمعنى الجميع وان يكون تنوين ماء للوحدة الجنسية او النوعية والمعنى خلق
جميع افراد الدابة مع اختلاف اشكالها وطبايعها من شيء واحد هو عنصر الماء او النطفة فلا بد

لن يكون

لن يكون اختصاص كل واحد منها بما يخصها مستندا الى صانع قادر على كل شيء ثم اشار بقوله وقيل
من ماء متعلق بدابة اي متعلق بمحذوف على انه صفة لدابة الى جواب آخر لانه اذا كان المعنى ان كل دابة
كائنة من ماء مخلوقة لله تعالى لا يرد النقض بشيء مما ذكر قوله وانما سمي الزحف مشيا يعني ان المشي
هو قطع المسافة والمرور عليها مع قيد كون ذلك المرور على الارجل واطلق في الآية على المرور مطلقا
على سبيل الاستعارة حيث كان الاطلاق المذكور مبنيا على التشبيه ومثل هذا المجاز وهو ان يكون
الكلمة موضوعة لحقيقة مع قيد فتستعمل لتلك الحقيقة من غير اعتبار ذلك القيد تسميه صاحب
المفتاح مجازا مرسلا ويشترط في الاستعارة ان تكون مفيدة متضمنة للمبالغة في التشبيه بان
ينسى التشبيه ويدعى دخول المشبه في عداد المشبه به ولا فائدة في مثل هذا المجاز لكون كل واحد
من اللفظين بمنزلة المرادف للآخر عند المصير الى المراد من اللفظ فان المشي والزحف على
البطن كالمترادفين وكذا نحو المرسن والانف فان المرسن موضوع لمعنى الانف مع قيد ان
يكون مرسونا فاذا استعمله في انف انسان لا يكون فيه من الفائدة ما يكون في استعمال لفظ الاسد
في الرجل الشجاع مثل الاثر المعروف وصاحب الكشاف جعلاه من قبيل الاستعارة لابتنائه على التشبيه
قوله على الاستعارة او المشاكلة والنسخة المشهورة على الاستعارة للمشاكلة بجعل قصد المشاكلة
علة لايثار طريق الاستعارة وجعلها علة مستقلة له صحيح ايضا كما وقع في الكشاف قوله وتذكير
الضمير مع ان ظاهر النظم يقتضي تانيثه لكونه راجعا الى قوله دابة من حيث ان اسم الدابة يقع
على العقلاء وغيرهم فغلب العقلاء على غيرهم ولما عبر من جملة الدواب بلفظ العقلاء وهو ضمير منهم
ناسب ان يعبر عن الاصناف المندرجة تحتها ايضا بذلك ليوافق التفصيل الجملة فلذلك عبر عن تلك
الاصناف بكلمة من التي حقها ان يطلق على العقلاء قوله والترتيب حيث قدم الزاحف على الماشي على
رجلين وهو الماشي على اربع من حيث ان الآية الكريمة مسوقة لبيان قدرة الله تعالى ومشي من يمشي
بغير آلة المشي اثبت لها ثم مشي من يمشي على رجلين اثبت لها بالنسبة الى مشي من يمشي على اربع
والاستدلال بها وباختلاف صورها وطبايعها وقواها على وجود الصانع وصفات كماله من حيث
ان اختصاص كل واحد من هذه الحيوانات باشكالها واعضائها وقواها وطبايعها ومقادير ابدانها
واعمارها لا بد وان يكون بتدبير مدبر قاهر قادر على كل ما يشاء قوله نزلت في بشر المنافق عن ابن

Copyright © King Saud University